

د. محمد شوقي الزين

الحجاجُ الفلسفي

الحصة الخامسة

الحجة والبرهان

الحُجَّةُ الفَلْسَفيَّةُ وَالْبُرْهَانُ العِلْمِي



- تتعامل الفلسفة مع الحجج. لها حجج تُقدِّمها على بساط المناقشة. عندما نتحدَّث عن البراهين الفلسفية، فمن باب التجوُّز، أو في حالة ما إذا استعمل الفيلسوف براهين علمية في الدِّفاع عن قضية فلسفية، مثلما نجد ذلك عند المشتغلين بالإبستمولوجيا عموماً (باشلار، كلود برنار، إلخ).
- تتعامل الحُجَّةُ إذاً مع ما يُسمَّى بالاعتباري أو شبه الحقيقي (le vraisemblable)، على العكس من البرهان العلمي الذي يتعامل مع الحقيقي (le vrai) الذي نتيجة ملاحظة أثبتتها التجربة العلمية.



الصُّوري وَعَيرُ الصُّوري

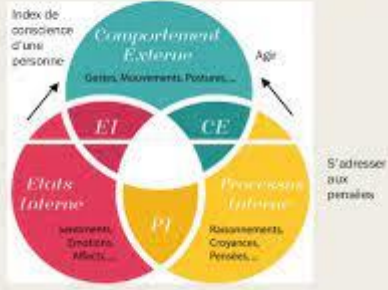
- يبقى المنطق هو المجال الصوري الحصري في دراسة القضايا الفلسفية. على العموم، منذ أن أصبحت الفلسفة "لغوية" عبر "فلسفات اللغة" التي توزعت في خريطة الفلسفة المعاصرة، أضحت اللغة الطبيعية هي الوسيلة الأساسية في الحجاج الفلسفي، أي إمكانية إدراج المجاز والاستعارة ومختلف الأساليب البيانية في التحجج.
- يختلف البرهان العلمي الذي يبقى في مجال الصوري، بما يُقدِّمه من قضايا علمية يُدعمها بالرموز والبيانات، مثل المعادلات الرياضية والفيزيائية والكيميائية والجداول الصورية.

المعقول والعقلاني



- الفلسفة هي على العموم معقولة بما تُقدِّمه من حجج تُركِّبها بشكلٍ منسجم. عندما نتحدَّث عن العقلانية، ففي الغالب من خلفية علمية محضة، أي فلسفات العلوم التي تُطبَّق إجراءات برهانية على الموضوعات العلمية.
- البرهان العلمي هو إذاً عقلاني، لأنَّ ثمة سلسلة من الإجراءات تنتهي دائماً بأن يُبرهن عليها نظرياً والتوكيد عليها عملياً في إطار التجربة العلمية.
- كل الفلسفات معقولة، أي لها خطاب يُفهم على أنه نتاج العقل وفق إجراءات حجاجية مطبَّقة، أيًا كانت طبيعة تلك الفلسفات (مادية، مثالية، واقعية...)، لكن يصعب الحديث عن فلسفات عقلانية سوى في إطار المعرفة العلمية الموضوعية.

الإقناع والإثبات



- إذا كانت الفلسفات معقولة، فهي باستعانتها بالإجراءات الحجاجية، تسعى إلى الإقناع. فهي تُجند الوسائل المطلوبة لحمل المتلقي (السامع، القارئ...) على الانخراط في الرأي.
- يختلف الأمر مع البرهان العلمي الذي يسعى إلى إثبات مسألة، إمّا نظرياً عبر اللغة الصورية والوسائل الرمزية، وإمّا عملياً عبر التجربة العلمية. ومن ثمة، نُثبت علمياً ظاهرة فلكية أو طبيعية، لكن نُقنع فلسفياً بمتانة حجّة أو سداد الرّأي.
- وعليه، يتعامل الخطاب العلمي مع ما هو صحيح (valide)، أثبتت صحّته اللغة الصورية أو التجربة العلمية، وتتعامل الحجّة الفلسفية مع ما هو ملائم (pertinent) يسعى إلى انضمام المتلقي في رأي يراه سديداً أو تُستعمل الحجّة لتبيان على أنه سديد ومقبول.

الحواري والمونولوجي



- محاولة الإقناع هي التوصل بالغير، أي الحوار معه. لأجل ذلك هناك سلاسة في المنطلق والتساؤل، وبلورة تصوّرات قابلة للتعديل، وهي في الغالب تصوّرات غير واضحة تتّضح تدريجياً بمقدار التقدّم في الإجراءات الحجاجية، وارتجال حجج جديدة وترتيبها تبعاً لمفاعيل مرجوة.
- الإثبات العلمي هو إجراء منفرد بالتعامل مع أكسيومات ثابتة وغير قابلة للدحض، واستعمال حسابات ضرورية، والعمل على الوصول إلى نتيجة بغض النظر عن التسلسل في الإجراءات البرهانية. يقتضي البرهان العلمي الصرامة والوضوح منذ البداية والهدف هو بلوغ اليقين.